أَجَـــشُّ جُـــمَـــادِيٌّ إذا عَـــجَّ عَـــجَّـــةً
وأَقْـبَـلَ يَـسْـتَـتْـلـي تَـسـكُّ الـمـسـامِـعُ[١]
يُـحِـطُّ الـوُعُـولَ الـشُّـهْـلَ مِـنْ رَأْسِ شـاهِـقٍ
ولـلـسِّـدْرِ والـدَّوْمِ الـطِّـوالِ الـمـصـارِعُ[٢]
فـقُـلْـتُ لأَصْـحـابِـي، ودَمْـعِـيَ مُـسْـبَـلٌ
وقـد صَـدَعَ الـشَّـمْـلَ الـمُـشـتَّـتَ صَـادِعُ[٣]
أَلـيـلـى بِـأَبـوابِ الْـخُـدورِ تَـعَـرَّضَـتْ
لِـعَـيْـنِـيَ أَمْ قَـرْنٌ مِـنَ الـشَّـمْـسِ طـالِـعُ[٤]؟

١٣٣
نعم إنني صَبٌّ

[الطويل]

إذا حُـجِـبَـتْ لَـيْـلَـى فَـمـا أَنْـتَ صَـانِـعُ
أَتَـصْـبِـرُ أَمْ لـلـبَـيْـنِ قَـلْـبُـكَ جـازِعُ[٥]؟

= الشاعر لتلك الديار الخير العميم والمطر بحيث تعمّها سحابة بمطرها الغزير، والرياح تأتي بدفق مطر عميم يجعل الخضرة تعمّ تلك الرباع.

(١) أجشُّ الصوت: خشن الصوت. عجّ الصوت: رفعه. جُماديّ: نِسبة شهري جُمادى، ويُخص بذلك فصل الشتاء. تسكّ المسامع، تصمت. يُتمّ الشاعر الصورة في يومٍ مطير في جمادى، شهر المطر، فزمجرة الرعد مخيفة تصمّ الآذان لترادفها وتتبعها.

(٢) يحطّ: ينزل. السدر والدوم: أنواع من الشجر، لا يزال الشاعر يرسم الصورة، وتتّضح معالمها. تلك الأمطار والرعود تُثير خوفاً حتى في عالم الحيوان، فتجبر الوعول على الهبوط إلى السهول خوفاً تاركة أعالي الجبال؛ فصوت الرعد مخيف مرعب، وشدّة الرياح تصرع تلك الأشجار الصلبة القوية فتكسرها فتهوي طريحة صراع الطبيعة القاسية.

(٣) و (٤) في هذا الجوّ المخيف المرعب، تذكر الشاعر ليلى حبيبته، فقال لأصحابه مستفسراً، ودمعه على خديه، خوفاً عليها، وأفلح الواشون فانقطعت أواصر المحبة: أهي ليلى التي تصدّت بباب الخدر لعيني المحبّ، أم هي الشمس أشرقت بضيائها؟

(٥) يتساءل الشاعر، إذا حُجر على ليلى ومُنعت من المثول بين يديه أيتحمّل مرارة الصبر أم أنه يخاف قلبه من الهجر والبعد؟

نَـعَـمْ، إِنَّـنـي صَـبٌّ بِـلَـيْـلَـى مُـتَـيَّـمٌ
ولَـسـتُ بِـسـالٍ مـا دعـا الـلَّـه خـاشِـعُ[١]
ولا صَـبْـرَ لـي عَـنْـهـا ولا لِـيَ سَـلْـوَةٌ
سِـوى سَـقَـراتٍ فـي الـحَـشـا ومَـدامِـعُ[٢]
وقـد جَـدَّ بـي وَجْـدِي وفـاضَـتْ مَـدامِـعـي
وقـد زادَ مـا انـضـمَّـتْ عـلـيـهِ الأَضـالِـعُ[٣]
أَلا إِنَّ لَـيْـلَـى كـالـغَـزالَـةِ فـي الـضُّـحَـى
أَو الـبَـدْرِ فـي الـظَّـلْـمـاءِ كـالـتِّـمِّ طـالِـعُ[٤]
لـقـد حَـبَّـهـا قَـلْـبـي وعَـمَّ غَـرامُـهَـا
ولا صَـبْـرَ مـمـا يـلـتـقـي الـعَـبْـدُ مـانِـعُ[٥]
وكَـيـفَ أُسَـلِّـي الـنَّـفْـسَ عـنـهـا وحـبُّـهـا
يُـؤَرِّقُـنـي والـعـاذِلـونَ هَـواجِـعُ[٦]؟

(١) يُجيب الشاعر بنعم؛ ذلك أنه عاشق يميل إلى ليلى، يهيم بها، ولن ينساها طالما يدعو اللَّه تعالى داعٍ أو مؤذن.
(٢) سقرات، واحدها سَقرة: شدّة حرّ الشمس. ويتبع كلامه أنه يفتقد إلى الصبر، فلا يملك منه شيئاً يسمح له بالبعد عنها، وليس له سوى الدموع تترجم معاناته، وتوقّد لهيباً في أحشائه.
(٣) يعبر الشاعر عن ألمه؛ فحبه يزداد باطراد، وعيناه تفيض بالدمع وفي داخله قلب يقطر ألماً وحزناً لما آلت إليه حاله.
(٤) وليلى شبيه غزالة في ضحًى نيّر، لها أناقتها ورقتها ورشاقتها ولطفها وجمالها، أو هي كالبدر في ليلة مظلمة، فإذا ما طلعت سرى الأنس في النفس، وزال خوف الوحدة من النفوس.
(٥) يقرّر الشاعر حقيقة أمره، فقد داخل حبها قلبه، فاستقرّت به، وشمل غرامها كلّ جارحة فيه، ولكن مشكلة الشاعر أنه لا يصبر على ما يلقاه في سبيلها من آلام وعذابات.
(٦) ومشكلة الشاعر أن نفسه لم تعرف للعزاء طريقاً، فلم يستبدل بها من تحلّ مكانها، =

وقـلـبـي كـئـيـبٌ فـي هـواهـا وإنَّـنـي
لَـفـي وَصْـلِ لَـيْـلَـى مـا حَـيـيـتُ لَـطـامِـعُ[١]

١٣٤
تُضرِّبُ أَعناقَ الرِّجالِ المطامعُ

[الطويل]

نَـهـارِي نَـهـارُ الـنَّـاسِ حَـتَّـى إذَا بَـدَا
لِـيَ الـلَّـيْـلُ هَـزَّتْـنِـي إلَـيـكِ الـمَـضـاجِـعُ[٢]

أُقَـضِّـي نَـهـاري بـالـحـديـثِ وبـالـمُـنَـى
ويَـجْـمَـعُـنـي والـهـمَّ بـالـلَّـيـلِ جـامِـعُ[٣]

لـقـد ثـبَـتَـتْ فـي الـقَـلْـبِ مِـنْـكِ مـحـبَّـةٌ
كـمـا ثـبَـتَـتْ فـي الـرَّاحَـتَـيْـنِ الأَصـابِـعُ[٤]

ولـو كـان هـذا مَـوضِـعَ الـعَـتْـبِ لاشـتـفـى
فُـؤادي ولـكـنْ لـلـعِـتـابِ مَـواضِـعُ[٥]

= فنفسه لا تودّ غيرها، ولذا فالأرق يقتل كلّ رغبة فيه للنوم، وهناك العذال ساهرون يحوكون المؤامرات لإبعاده عنها بشتى الطرق.

(١) وقلب الشاعر مترع حزناً بسبب حبّه لها، ولديه الإصرار على الاستمرار في طريق هذا الحبّ، وهو طامع بصلتها ما دام على قيد الحياة.

(٢) يقضي الشاعر نهاره كما يقضيه الآخرون، وما إن يحلّ الليل بظلمته ووحشته، حتى يُحسّ أنه بحاجة إلى من يؤنس وحشته، ويزيل عنه إحساسه بالوحدة والانكسار.

(٣) يُمضي الشاعر نهاره كسائر الناس؛ عمل وحديث وأمل، ولكن ما إن يسدل الليل ستار الظلمة حتى تعاوده الهموم مجتمعة.

(٤) يخاطب الشاعر حبيبته، فقلبه مترع بحبّها متمكن حبها من شغاف فؤاده تماماً كما جعل اللّه تعالى الأصابع في يدي المرء تترجم القوّة والاتحاد والالتحام.

(٥) العتاب بين الأحبّة والأصحاب يغسل القلوب ويشفي سقمها؛ فهذا بالنسبة له لا يُعدّ عتاباً، بل فضفضة عمّا يُعانيه من آلام وأحزان، ولكن هناك متّسع من الوقت للعتاب، فليس وقته الآن.